

الإنسان الكامل عند مرتضى المطهري

م. د . نزار عبد الامير تركي

جامعة كربلاء /كلية القانون

Nazar.alganimy@gmail.com

المقدمة

إن كل موجود حينما يطوي في مسيرة تكامله الفطري طريق الكمال يكون في الحقيقة يسير في نفسه الضعيفة الى نفسه القوية . وعلى هذا الأساس فإن انحراف إي موجود عن مسيرة تكامله الواقعي يكون انحرافا عن نفسه إلى غيره ، وهذا الانحراف يتحقق في مورد الإنسان أكثر من أي موجود أخر ، لأنه حر مختار ، فكل ما يختاره لنفسه غاية ، يكون قد جعله في الحقيقة في مكانه نفسه وشخصيته الواقعية ، فإن كانت غاية منحرفة يكون مبدلا غيره بنفسه ، فاختيار الغايات والأهداف المنحرفة عامل في خطة الإنسان في نفسه وشخصيته الواقعية ، وبالتالي يفقد هذه الشخصية الواقعية . إن شخصية الإنسان تتجلى في صفاته الأخلاقية والنفسية ، فإذا اعتدلت هذه الصفات كانت شخصية الإنسان متلائمة مع مظهره الإنساني ، وأما إذا انحدرت وخرجت عن طور الإنسانية و أتسمت بصفات حيوان مفترس ، لم يعد صاحب هذه الصفات إنسانة وإنما حيواناً مفترسة ، أي إن شخصيته قد مسخت وأصبحت في البطن والحقيقة بهيمة ، وهذا هو الإنسان الناقص في قبال الإنسان الكامل. لذلك تأتي أهمية دراسة الإنسان الكامل عند الشهيد مرتضى المطهري لكونه من أصحاب مدرسة الحكمة المتعالية التي اعتمدت على البيان العقلي والفلسفي (البرهاني) ، وربط جوهر الدين بالحكمة الشرقية والاشراقية ، مع العلم اللدني والباطني من الأسس المعرفية ، ومن ثم فهو كان يري روح الحكمة المتعالية في النور والعرفان الإلهي . فهناك عدة دراسات تناولت فلسفة ومنطق والفقه والدين عند المطهري لكن لم تجد دراسة شاملة حول مفهوم الإنسان الكامل عند المطهري لذلك جاءت هذه الدراسة للبحث عن قرة الإسلام على بناء الشخصية الإسلامية المكتملة، في نظرتها العامة إلى الكون وخالقه، والإنسان و غايته المثلى من الحياة، وعلى بناء المجتمع الإسلامي على أسس العدل الإلهي الذي يعني أن العلاقة بين الإنسان وأخيه هي علاقة الشركة والتعاون، وأن التدرج في مراتب الوجود يتطلب نوعا من الاختلاف بينها في النقص والكمال، والشدة والضعف. وتعني أيضا أن السيادة والسلك في الأرض لله وحده، و أن الإنسان هو خليفته فيها وحامل أمانته إليها، وهي تعني العمل على إيصال الموجودات إلى كمالها وغاياتها ، بعد أن دفعها الله من العام إلى كل الوجود . لذا جاء البحث على شكل مبحثان تناول المبحث الأول تعريف الانسان الكامل وتطوره عند العرفاء قضمن ثلاثة مطالب الأول تضمن تعريف الإنسان الكامل في حين كان المبحث بتناول تطور فكرة العرفان عند ابن عربي وعبد الكريم الجيلي أما المطلب الثالث تعريف الإنسان الكامل عند الشهيد مطهري وتضمن ثلاث فروع الأول عن تعريفه والفرع الثاني تناول منهج الشهيد المطهري في تحديد حقيقة الإنسان الكامل والفرع الثالث تناول نقد الشهيد المطهري للمدارس الفكرية التي تناولت الإنسان الكامل. أما المبحث الثاني فتضمن بطلبين : تناول الأول الأسس الأخلاقية للإنسان الكامل عند المطهري ، في حين تناول المطلب الثاني القيم الأخلاقية للإنسان الكامل وأخيرا الخاتمة التي تناولت أهم النتائج التي توصل الباحث إليها.

المبحث الاول : مفهوم تعريف الإنسان الكامل وتطوره عند العرفاء

المطلب الاول : تعريف الإنسان الكامل

تقديم تعدُّو فكرة الإنسان الكامل،[١] من بين أكثر الأفكار خصوبة في التراث العرفاني الإسلامي، ومرتبطة بجوانب متعددة ومنها الجانب الاخلاقي لذا سوف نسلط الضوء على مدى إرتباط هذه (النظرية) بالفكر الاخلاقي وأن نبين إنها نتاج طبيعي لهذا الفكر وثمرة شرعية من ثماره الكثيرة والمتنوعة.إن سعي العرفاني إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الكمال الخلقي والروحي والديني، وتطلعه إلى إتّباع النبي محمد (ﷺ)، بكونه التجسيد الواقعي لهذا الكمال، هما ما دفعاه وبشكل تلقائي، إلى أن يمعن النظر كثيراً ويفصّل الكلام في بيان سمات هذه الشخصية – شخصية الإنسان الكامل – وإظهار فضائلها وإمتيازاتها الروحية، بكونها أعلى مقامات التمكين وآخر مراتب الكمال التي يمكن أن يبلغها العرفاني السالك، فيما لو ثبت على سلوكه ومجاهداته وأوراده من جهة، وأدركته يدّ الرحمة والعناية الربانية من الجهة الأخرى. فإذا ما وصل العرفاني إلى تلك الغاية وتكمن منها وفني عن إرادته وبقي بإرادة الله تعالى، وصارت نفسه نفساً كاملة، وصارت يدُ الله تعالى هي يده التي يبطش ونور الله تعالى هو عينه الذي يبصر بها وصار هو المنبع الذي يفيض منه على العارفين معرفة بربهم، على نحو ما يعرف هو ربَّه، وصارت تصل إليهم من العطايا والمنح الإلهية وصار هو الحقيقة الإلهية السارية في الوجود بأسره، وهو خليفة الله تعالى الذي ظهر في هذا العالم كي يظهر فيه جلال من أوجد. وهذا الإنسان لولاه ولولا خلافته الباطنة لخرب العالم وعمَّته الفوضى، لأنه مكمَّل سلسلة النور الذي يجب أن لا ينطفئ، وهو النور الذي ظلَّ متوالياً بعد إنتقال النبي (ﷺ) إلى مولاه. والإنسان الكامل هو الذي يظهر إلى حَيز الوجود والتحقيق كل تجليات القدرة الإلهية التي أودعها الله تعالى في بحر الإمكان البشري، وعليه فهو يجمع بين طرفي الوجود، أي الحق والخلق وهو الواسطة بينهما. لقد الله تعالى الإنسان الكامل على صورته وجعله إنموذجاً ظاهراً للذات الإلهية، فهو علة وجود العالم والحافظ له وهو القطب الذي

تدور حوله أفلاك العالم. فمن صحَّت له هذه الرتبة وتلك الصفات، صحَّت له الوراثة والخلافة العظمى، وتلك رتبة، كما يقول إبن عربي (ت-٦٨٣هـ)، لا يستحقها إلا من خلق لها، أي أنه يكون قد خلق على الصورتين: الإلهية والكونية فجمع في ذاته حقائق الحق ومظاهر العالم، فهو قادر على التعامل مع الحق من جانب ومع العالم من جانب أخر، وبتوازن تام ومن دون خلل أو إرتباك، لأنه مخلوق على صورة الكمال، ولأنه الخليفة، كما إبن عربي، فلا بدَّ من أن يظهر فيما أستُخلف عليه بصورة مستخلفة، وإلا فهو ليس بخليفة له فيهم.[٢] أي بمعنى أنه لابدّ من أن يظهر بين الناس – لكونه خليفة الله تعالى – بتفويض إلهي مطلق وقدرة ربانية ليس لها حدود. إذن فالاحساس المفرط: الوازع الأخلاقي، هو الذي حدا بالعرفاء إلى تبني نظرية الإنسان الكامل والعمل الحثيث على تحقيقها في حيزَّ الواقع. لقد أدرك هؤلاء العرفاء، بحدسهم الفائق، ما تشتمل عليه تلك (النظرية) من جانب أخلاقي كبير[٣] إذ إن شخصية الإنسان الكامل، مستوحاة أصلاً من السيرة الروحية والأخلاقية للنبي محمد (ﷺ) الذي قال الحق تعالى في حقِّه: ((إنك لعلى خلق عظيم))[٤] والذي أدّبه ربُّه فأحسن تأديبه والذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق. فإذا ما تتبعنا بعض خصائص الإنسان الكامل وتبين لنا إنه هو منبع الفيوضات الرحمانية وإن بنظرته النورانية تتوزع الدرجات الروحية وتتغير رتب الرجال وتتم الولايات، وعلى يده تسير الأمور الظاهرية وتنتظم الأمور الباطنية، وإنه لا يخفى عليه شيء من مجريات الأحداث، ما دقَّ منها وما عظم، لأنه قطب الأرض وموضع نظر الربّ وخلفية الرسول (ﷺ) [٥] والإنسان الكامل، يُعد عند العرفاء، النموذج الأمثل الذي يمكن لأي إنسان على وجه الأرض أن يبلغه،والصوفي،حتى وأن كان لايطمح إلى بلوغ مقام الأنسان الكامل،إلا أنه يضعه نصب عينيه إبّان سعيه الحثيث إلى الترقي والوصول،فما دام هذا ألمثال شاخصا أمامه،فهو لا يرضى بأي منزلةٍ يصل أليها دونه، بل يسعى دائماً للاستزادة من زاد الأرواح،حتى يبلغ به ذلك السعي إلى مقام اليقين.

المطلب الثاني : تطور فكرة الانسان الكامل عند العرفاء

يُعد ابي يزيد البسطامي[*] (ت- ٢٦١ هـ) رائدا لفكرة الكمال في التصوف الاسلامي ، فيرى أن العبد يمكنه أن يصل الى درجة عالية من الكمال الروحي والأخلاقي بحيث يعكس معها عظمة الكمال الإلهي وهو ما يتجلى لنا من خلال مخاطبته لربه بقوله: ((زيّني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وأرفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك و لا أكون أنا هنا)).[٦] ثم يأتي بعده الحسين بن منصور الحلاّج (ت – ٣٠٩هـ)[**] الذي سما بالجزء الناسوتي من الوجود البشري إلى مراقٍ بعيدة أحرجت مواقف الصوفية في زمانه وألحقت به تلك الفاجعة المشهورة التي أودت بحياته. لقد رأى الحلاّج: أن الأنسان هو صورة الله تعالى ومظهر تجليه، ولكن هذه الصورة، تتباين في الوضوح من شخص إلى آخر، كما أنها لا يمكن أن تظهر وتتجلى في الإنسان، ما لم يعمل على تصفية روحه وتجلية مرآة قلبه إستعداداً لها. وفي كتابه((الطواسين)) يشير الحلاّج إلى نفسه بكونه أكمل التجليات الإلهية، وهو ما يتبين لنا من قوله: ((إن لم تعرفوا الله فأعرفوا آثاره، وأنا ذلك الأثر وأنا الحق، لأني ما زلت بالحق حقاً)).[٧] ثم يأتي من بعدهما الحكيم الترمذي وهو محمد بن علي الحسين الترمذي[***] (ت –٣٢٠هـ) صاحب أول كتاب متخصص في هذا الموضوع، وهو كتاب ((ختم الولاية)) الذي حاول أن يصوغ فيه فكرة (الولي الكامل) الذي يصل عن طريق الصدق وآخر درجات المعرفة، إلى النور الإلهي، فيمّر في أطوار الكمال ودرجات المعرفة، حتى يصل إلى كمال المعرفة الذي يكشف له فيها الغطاء عن العلوم الإلهية، ويُفتح له في الغيب الأعلى حتى يلاحظ ملك الملك، وكل ذلك يتم له بعد أن تكتنفه يد العناية الإلهية، فيقوَّم ويُهذَّب ويؤدب ويُنقّي ويُطهر ويطيب ويوسع ثم يعوَّذ، وعندها فقط، تتم له الولاية لله تعالى، وهي الولاية العظمى[٨] ثم بعد الترمذي، يمكننا أن نختصر الزمان، فنصل إلى القرن السابع الهجري، وبالتحديد مع إبن عربي[****](ت – ٦٣٨ هـ)، الذي يُعدُّ أول مبدع لنظرية الإنسان الكامل بشكلها الناضج والمتكامل.

أولا- الإنسان الكامل عند إبن عربي

إن الإنسان الكامل هو وحده الذي تتمثل فيه الكلمة الجامعة وعلم الله تعالى بذاته، يصل إلى ذروته فيه، وفيه إيضاً، يتحقق الغرض من الخلق وهو التحقق بالمعرفة الإلهية، فالله تعالى أحبّ أن يعرف، فخلق الخلق، فكان أول ما خلق هي الدرة البيضاء التي تشرق بتجلي أول الأنوار الإلهية فيها. فالإنسان الكامل هو الإنسان الجامع لكل الصفات والتجليات فهو الحادث الأزلي والنشيء الدائم الأبدي والكلمة الفاصلة الجامعة، لأن قيام العالم يكون بوجوده ، فهو من العالم كفصّ الخاتم من الخاتم، وهو محل النقش والعلامة التي يختم بها الملك على خزائنه، وقد سمّاه تعالى خليفته من أجل هذا، لأنه تعالى الحافظ به خلقه كما يحفظ الختم الخزائن ..... فلا يزال العالم محفوظاً، ما دام فيه هذا الإنسان الكامل.[٩] إذن فالإنسان عند إبن عربي، هو حلقة الوصل بين الحق والخلق، وهو الجامع لكل الأسرار الوجود والمختصر لتجليات الأنوار الإلهية، وهو الفرد الأوحد في كل وقت، وإنما كانت حكمته – أي الإنسان الكامل – فردية، لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني،

ولهذا بديء به الأمر وختم، فكان نبياً وآدم بين الماء والطين وأمّا النبي محمد(ﷺ) فأنه أوضح دليل على ربّه في هذا الوجود، لأنه قد إشتمل على خلاصة الحكمة الإلهية، ولأنه قد عكس في ذاته معاني الوجود، قبل وجود الوجود.(١٠) والإنسان الكامل، هو أكمل مجلى خَلقي ظهر فيه الحق تعالى، لأنه أكمل المخلوقات ولأنه قد تجلت فيه حسن الصنعة وتَمام الحكمة الإلهية، فهو الخلقة الكامل بأخصّ معانيه، وهو مبدأ خلق العالم والنور الذي ظهر فيه لنفسه، في حالة الأحدية المطلقة.(١١) وعليه، فالإنسان الكامل مهما ظهرت عليه من قدرات ومهما تجلت فيه من كمالات، فأن ذلك لا يخرج به عن حيِّز الخلق و لا يبلغ به إلى مصافي الألوهية ، كما يمكن أن توهم بذلك أوصافه ونعوته. إنه الموجود الحائز على أقصى درجات الكمال التي يمكن أن يبلغها مخلوق . وفي (الفتوحات المكية) يذكر أبن عربي أن الأنسان الكامل، هو وحده الأنسان الحقيقي، لأنه الكلمة الجامعة لكل معاني الوجود ونسخة العالم، وإن كل ما في العالم هو جزء منه، ولكن إذا كان هذا الأنسان قد حمع في اصل خلقته على كل أسرار الوجود وعلى مجلى الحكمة الالهية، فلم انفصل عنه الوجود بكل تفصيلاته ومظاهره، يرى إبن عربي، وأن السبب وراء هذا الفصل ووراء أيجاد هذا المنفصل الأول، يكمن في طلب الأنس بالمُشكل في الجنس الذي هو النوع الاخص، وليكون في عالم الأجسام، بهذا الالتحام الطبيعي الإنساني الكامل بالصورة التي اراده الله تعالى عليها مما يشبه القلم الاعلى واللوح المحفوظ الذي يعبَّر عنه بالعقل الأول والنفس الكلية، وكونه يوصف بالقلم الاعلى، فان في هذا إشارة تتضمن الكاتب وقصد الكتابة، وهو معنى قول الشارع: إن الله تعالى خلق ادم على صورته.(١٢) أي أن له من خلال استمداده من هذه الصورة: الفاعلية والقصد والقدرة على التأثير الموجودات، لا بل إن له القدرة على تقدير أقدارها وتصيير مصائرها. وأما من حيث الجانب الروحي والمعرفي، فأن الأنسان الكامل هو الروح المحمدي والممدّ لجميع الأنبياء والرسل وكذلك الأقطاب، من حين النشيء الإنساني الأول وإلى يوم القيامة، ولهذا الروح المحمدي مظاهر في العالم الإنساني، وإن أكمل مظهر له يتجلى في قطب الزمان وفي الأفراد وفي ختم الولاية المحمدية.(١٣)

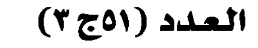
ثانياً – الإنسان الكامل عند عبد الكريم الجيلي

وبعد محي دين بن عربي يأتي عبد الكريم الجيلي (ت – ٨١٣ هـ) الذي تصل نظرية الأنسان الكامل على يديه، إلى انضج صورها، فلقد وضع فيها كتاباً مفصلاً سماه بـ((الأنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل))، وفيه يخبرنا بأن الأنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه افلاك الوجود من أوله إلى أخره، وهو واحد منذ كان الوجود وإلى أبد الآبدين، وإن له تنوّعاً في مظاهر شتى، ولكن أسمه الأصلي هو (محمد(ﷺ)).(١٤) وهذا الأنسان الكامل يقابل جميع الحقائق الوجدية بنفسه، إذ يقابل الحقائق العلوية بلطافته ويقابل الحقائق السفلية بكثافته، ويذهب الجيلي إلى أكثر من ذلك فيقول إن الأنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الألهية، إستحقاق الأصالة والملك، بحكم المقتضى الذاتي، إذ ليس لها مستند في الوجود إلا الأنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرأة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها.(١٥) إذن فقد بلغ الجيلي بفكرة الأنسان الكامل إلى درجة أنها صارت تعكس صورة مطابقة تماماً للحقيقة الألهية وليست أنه حقيقة، ولكنها الحقيقة الذاتية

المطلب الثالث : الإنسان الكامل عند الشهيد المطهري

الفرع الاول – تعريفه

ينطلق الشهيد مطهري(*****) في تعريف الإنسان الكامل من خلال التميز بين كلمتان متقاربتان في المعنى ولكن ليستا بمعنى واحد ، هما الكمال والتمام ، فأمّا "التمام" فيُراد به التعبير عن تحقّق جميع الأمور اللاّزمة لصيرورة الشيء غير ناقص من جهة ماهيّته وحقيقته، فلو لم يتحقّق بعض هذه الأمور وُصِف الشيء بالناقص أي أنّه لم يوجد كلُّه. فمثلاً يتألّف المسجد من قاعة للصلاة وجدرانٍ وسقف و... فإذا وُجدت جميع هذه الأشياء أمكن القول بأنّ بناء المسجد قد "تمّ" وإلّا فإنّ البناء يبقى ناقصاً.وأمّا "الكمال" فيُراد به التعبير عن الدّرجات الّتي يمكن أن يصل إليها الشيء بعد تمامه، ولذلك فلو لم يكن الشيء كاملاً لم يعنِ ذلك أنّه غير تامّ، بل هو تامّ. وعندما يُقال أنّ فلاناً قد كمُل عقله فلا يعني أنّ عقله كان ناقصاً والآن أصبح تامّاً، بل يعني أنّ عقله تامّ إلّا أنّه قد ارتقى في سلّم الكمال (١٦) .وقد ذكرتا التمام والكمال في قوله تعالى (اليومَ أكملتُ لكم دينكُم وأتممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلامَ دينا)(١٧) فالإنسان الكامل هو الإنسان الّذي وصل إلى أرقى درجات الإنسانيّة، ذلك الحدُّ الّذي لا يكون فوقه إنسان ، إن اول شيء خلقه الله بالنسبة للإنسان الكامل يسمى الروح المحمدي ، كما أنه بالنسبة الى الخلق الحكم الأعلى ، وبالنسبة الى مطلق الخلق العقل الأول ، فالروح المحمدية في علاقة تضائف مع الإنسان الكامل(١٨). فالإنسان الكامل هو الإنسان الذي وصل إلى أرقى درجات الإنسانية ، ذلك الحد الذي لا يكون فوقه إنسان ، وأن أول شيء خلقه الله بالنسبة للإنسان الكامل يسمى الروح المحمدية ، كما أنه بالنسبة إلى الخلق الحكم الأعلى ، وبالنسبة الى مطلق الخلق العقل الاول ، فالروح المحمدية



في علاقة تضائف مع الإنسان الكامل . والكمال هو اسم من أسماء الذات لا يشبه كمال المخلوقات ، هو اسم ، أو صفة من الأسماء أو الصفات الجمالية . ويرتبط الكمال بالغاية ، فالغاية حركة نحو الكمال، والإنسان الكامل أتجاه نحو تحقيق الغاية . والغاية من العالم وجود الإنسان الكامل ، فهو العلة الغائية وغاية الإيجاد للحق اكمال مرتبة الوجود والمعرفة ، والغاية من الوجود الإنسان هو كمال الجلاء والاستجلاء[*] . ورعاية قوى الإنسان ومداركه إظهار كمالات[١٩]. والكمال مقولة إنسانية وهو أيضاً مقولة وجودية. والوجود يتجه نحو الكمال ، والكمال حصول مع ما ينبغي على نحو ما ينبغي . والكمال الذاتي هوما يضاف الى الحق من غير رتبة وتعين وغيرية ومظهر . والكمال الأسمائي ظهور الذات من خلال أسمائها . وهو الإنسان الكامل الحقيقي . والكمال هو التنزيه من الصفات وآثارها ويظهر الكمال كمقولة إنسانية لترجمة الإنسان[٢٠]. فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي يتوقف نحو الكمال ، والكمال مطلب إنساني ، والإنسان الكامل مثل أعلى . يعني الإنسان الكامل أن الحق مخلوق . وهو معنى حديث (لولاك ما خلقت الأفلاك) الإنسان الكامل وهو المراد لله على التعين ، وما سواه هو المقصود بالتبعية عين الحق هو الإنسان ، عين البصير . الإنسان عين الحق ؛ لأن الله نظر به الى العالم فأفاض الوجود عليه . والإنسان متحقق بالاسم البصير ؛ لأن كل ما يبصر في العالم من الأشياء يبصر بهذا الاسم[٢١].إن الإنسان الكامل هو صاحب مرتبة الولاية (ولي الله) وقلبه أوعى القلوب وأوسعها ، وهو قطب عالم الامكان ، حجة الله وخليفته ،والراسخ في العلم، وخازن زمنبع العلم اللدني ، ومثير دقائق العقول، والمأمون وأمين الله ، وفي الوقت ذاته الزاهد في الدنيا ، والشجاع وفي مرتبة اليقين ، وعلى الطريق الواضح والصراط المستقيم ، ومسير العدل في الأفق الإنساني الأعلى ، وهو العالم الأعلى الرباني ومن لا تخلو الارض من مثله [٢٢]، لذا فإن الإنسان الكامل هو مظهر الأتم والأكمل لصاحب الولاية الكلية[٢٣] . وأنه مقدم ذاتاً ورتبة على كل العالم ، فأمكن له أن يكون خليفة الله تعالى ، فإن الله تعالى مقدم على كل العالم فكذلك خليفته مقدم على كل العالم لا على الموجود الأرضي . ولا يتم ذلك إلا باطلاعه على جميع أسرار الأشياء وظواهرها على ما تقدم منه وما تأخر[٢٤] . في الواقع أن أغلب المتصوفة الذين تناولوا موضوع الإنسان الكامل، أجمعوا على أن هذا الإنسان، ليس هو على الحقيقة إلا إنعكاساً للحقيقة المحمدية، وإن كل من جاء بعد النبي محمد(ﷺ)) وتحلى ببعض صفاته، فأنه لا يعدو كونه ((وريثاً محمدياً)) أو صاحب ولاية أو خلافة محمدية . في حين يرى الفلاسفة أن ماهية الإنسان وجوهره وكماله في العلم خلافا للعرفاء الذين لا يرون الكمال في العلم، لاعتقادهم بأن الإنسان الكامل هو الذي يبلغ الحقيقة لا الذي يكشف عنها.وكانوا يقولون بشأن العقل العملي: إنه يسعى لتدبير البدن أحسن تدبير بسلسلة أحكام تمكنه من بلوغ الكمال..فكمال الإنسان يكمن في إقامه التوازن بين جميع قابلياته وستعداداته[٢٥].

ثانياً – منهج العرفاني الشهيد في تحديد حقيقة الإنسان الكامل :

إن المنهج المتبع في بناء الإنسان الكامل عند الشهيد هو المنهج القرآني وهو المنهج القائم على مجموعة من الخطوات : أول وأهم خطوة فيه هي تزكية النفس وتنميتها وتطهيرها من الأمراض الباطنية ، وأن شخصية الإنسان تتجلى في صفاته الأخلاقية والنفسية فإذا أعتدلت هذه الصفات كانت شخصية الإنسان متلائمةٌ مع مظهره الإنساني ، إن الفكر العرفانيّ في الأصل هو (طريقة) ونمط من (السلوك) المحدّد المعالم بهدف الوصول إلى (الحقيقة) والكمال الإنسانيّ. وتزكيةُ النفس والرياضاتُ الروحيّة هي الأدوات والوسائل التي يعتمدها أهل هذا التوجّه لنيل الحقيقة العرفانيّة التي يسعون للوصول إليها. ولا مشكلة مع العرفاء أو دعاة العرفان، إلا في تحديد موقفهم من ظواهر الشريعة، وحدودها المعهودة، التي تسمّى بالتكاليف والأحكام الشرعيّة. فلا مشكلة ولا اعتراض على العارف أو الصوفيّ أو غيرهما مهما كان الاسم الذي يتسمّى به هؤلاء، إذا جاهدوا لتهذيب النفس وتزكيتها، في ظلّ الالتزام بظواهر الشريعة التي هي رموزٌ ومؤشّراتٌ تكشف عن الباطن أو توصل إليه. وأمّا إذا كان السعي لتهذيب الباطن، على حساب تجاهل الظاهر والاستخفاف به، كما حصل عند بعض المتصوّفة في القرن الثامن الهجريّ، فذلك كارثة على الإسلام كلّه، وهاوية سقط فيها متصوّفةُ ذلك القرن وما بعده .والموقف السلبيّ من المتصوّفة يستند غالباً إلى مبالغتهم في الاهتمام بالباطن، واستخفافهم بحدود الشريعة الظاهريّة [٢٦] . هذا ويرى الباحث بأن العرفاء والفقهاء على القول بأن الشريعة (الاحكام والمقررات الإسلامية) مبنية على سلسلة من الحقائق والمصالح ، ويفسر الفقهاء عادة هذه المصالح على أنها أمور تبلغ بالإنسان الحد الأعلى من السعادة بالعمل بها مستفيداً من المواهب المادية والمعنوية ، ولكن العرفاء يعتقدون أن كل الطرق تنتهي الى الله ، وأن كل المصالح والحقائق إن هي إلا من نوع الشرائط والإمكانيات والوسائل والموجبات التي تسوق الانسان باتجاه الله عز وجل . وأن هذه المصالح والحقائق الكامنة في تشريع الاحكام هي من نوع المنازل والمراحل التي تسوق الإنسان إلى مقام القرب الإلهي ، والوصول الى الحقيقة [٢٧].ويعتقد العرفاء أن باطن الشريعة هو ((طريق))ويسمونه ((الطريقة)) وآخر هذا الطريق ((الحقيقة)) أي التوحيد الذي يتلمسه ويصل إليه بعد الفناء وخلاص العارف من نفسه وأنانيته .فالشريعة وسيلة أو غشاء للطريقة ، وأن الطريقة وسيلة أو غشاء للحقيقة[٢٨] . فتهذيب النفس هو السبيل

للوصول الى مرحلة الإنسان الكامل ولتوضيح ذلك يبين الشهيد مرتضى أن "الأنا" هي نفس وروح الإنسان فلسفياً ، في حين أن علم النفس الحديث يذهب الى أبعد من ذلك ، حيث يرى أن "أنا" تنقسم الى قسمين :

"أنا"الباطنة وهي غائبة عن حسَّ الإنسان.

و"أنا" الظاهرة وهي التي يشعر بها الإنسان . إما العرفان فإنه يتفوق على كلا الرأيين ، فيقول إن "أنا" الإنسان الحقيقية يمكن اكتشافها عند اكتشاف الله ، وبتعبير آخر إن شهود الأنا لا يختلف عن شهود الله . قال تعالى : (ولا تكونوا كالذين نَسوا الله فأنساهُم أنفسهم أولئكَ هُم الفاسقونَ)[٢٩] .ومن هنا يرى الشهيد مطهري كلما كان التفات الإنسان إلى أعماقه وتصفية باطنه تحت إشراف من هو أكمل وأكبر ، كلما كان أقدر على وصول الى الكمال . ونهاية الطريق عند العارف هو الوصول إلى حيث لا حجاب بين السالك وربه . حينها سيصير الإنسان مظهراً تتجلى فيه جميع اسماء الله وصفاته . وسيكون له كل شيء مع أنه لا يريد شيئاً لأنه مشغول بما هو فوق كل شيء[٣٠] . هناك حجتان عند الشهيد المطهري لإيصال الإنسان إلى الكمال هما :

١- الحجة الباطنية ، وهي عقل الإنسان.

٢- الحجة الخارجية ، وهم الرسل الذين يدعون الناس .

فهاتان الحجتان تكملان بعضهما البعض ، يعني إذا وجد العقل فقط ولم يكن أنبياء ، فإن البشر لن يتمكنوا عبور طريق السعادة الى نهايته ، العكس صحيح ، أي إذا وجد الأنبياء ولم يكن العقل ، فإن الإنسان لن يصل إلى السعادة المطلوبة ، حيث يقول الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) : (ياهشام : إن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والإنبياء والأئمة ، وأما الباطنة فالعقول)[٣١].

ب – طرق معرفة الانسان الكامل يحدد الشهيد المطهري طريقان لمعرفة الإنسان الكامل هما [٣٢]:

الأول – الرجوع الى القرآن والسنة النبوية فقد إشار القرآن الكريم الى الكثير من الآيات القرآنية التي بينت أوصاف الانسان الكامل والذي يصل الى الكمال على ضوء التعاليم الاسلامية .

والثاني – البحث في نماذج كاملة للإنسانية حيث ينطلق الشيخ مطهري من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[٣٣] وقوله : (أنفع الناس معرفة النفس)[٣٤] في بيان أنواع معرفة الذات وهي :

١ – معرفة الذات الفطرية : إن الإنسان بالذات عارف لنفسه ، يعني جوهر ذات الإنسان عارفة مدركة ، إن إيجاد((إنية الإنسان)) وإدراكها هو عين النفس وإدراكها ؛ من هنا فإن الإنسان بنحو ما مدرك بالعلم الحضوري . والقرآن يؤكد وجود القدرة على الحكم الأخلاقي والتميز بين مفهوم الخير مفهوم والشر بصفة مفطورة في الانسان ، مما يجعل الالتزام الخلقي في الاسلام حيا، وليس إطارا خاويا منطقيا جافا[٣٥] .

٢ – معرفة الذات الفلسفية : أن المطهري صاحب فكر إسلامي عميق متحرر، في بحوثه، من قيد الجنس أو المذهب، وإن لم يتخل عنهما. وهو يحتكم فيها إلى العقل وإلى الواقع وإلى مجموع مكونات الشخصية الإنسانية. وتردفه ثقافات إنسانية غنية ومنوعة :فلسفية واجتماعية ونفسية وتاريخية وفقهية ولغوية وأدبية، واطلاع على جملة من قوانين العلوم التجريبية كالفيزياء والفلك. وقد أحسن هضم هذه الثقافات وتسخيرها في الكشف عن قدرة الإسلام الخارقة على بناء الشخصية الإسلامية المكتملة، في نظرتها العامة إلى الكون وخالقه، والإنسان وغايته المثلى من الحياة، وعلى بناء المجتمع الإسلامي على أسس العدل الإلهي الذي يعني أن العلاقة بين الإنسان وأخيه هي علاقة الشركة والتعاون، وأن التدرج في مراتب الوجود يتطلب نوعاً من الاختلاف بينها في النقص والكمال، والشدة والضعف. وتعني أيضاً أن السيادة والملك في الأرض لله وحده، وأن الإنسان هو خليفته فيها وحامل أمانته إليها. وهي تعني العمل على إيصال الموجودات إلى كمالها وغاياتها، بعد أن دفعها الله من العدم إلى كمال الوجود[٣٦] .

ثالثاً – نقد الشهيد المطهري للمدارس الفكري التي تناولت الكمال الإنساني

١- **المدرسة العقلية** : أن هذه المدرسة تعتبر العقل جوهر الإنسان وحقيقته ، والقوى الروحية كالحب والشهوة والغضب فهي أدوات بيد الفكروالعقل ، ويرى فلاسفة هذه المدرسة ومنهم أبن سينا أن الإنسان الكامل هو الإنسان الحكيم والحكمة على نوعين[٣٧] :

أ- **حكمة نظرية** : وهي تعني الرؤية الكلية التي يحملها المرءِ عن الوجود ككل ، فالإنسان الحكيم هو الذي يعلم مبدأ العالم ومنتهاه ومراحل تطوره والقوانين الكلية السائدة فيه ، فيصبح عالماً بكل المسائل الخارجية . وبتعبيرهم ((صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني



ب- **حكمة عملية** : تعني تسلط الإنسان على قِواه وغرائزه ، بحيث تكون منقادةً لحكم العقل لا حاكمةً عليه . والإنسان الكامل هو الجامع للحكمتين[٣٨] .

ولقد تناولت كتب المطهري العقلين العملي والنظري بعنوان (عقلي الإنسان) أو (قُوتَية)لكنها لم تتناول التفاوت الاساسي بينهما تناولا كافيا ، مع أنها دلت على بداية حسنة . فقد بحث العقلان بحثاً نفسي الطابع ، فقيل : في الإنسان قوتان : إحدهما العقل النظري ، والاخرى العقل العملي ، فالعقل النظري قوة في النفس تكشف بها عما هو خارج عنها . والعقل العملي سلسلة إدراكات تدبر بها البدن . فهو مختص بطبيعة النفس ،والعقل النظري مختص بما هو فوقها . ولذا كانو يقولون : للنفس كمالان : نظري وعملي[٣٩] .. فقد قسم الحكمة في الإلهيات من الشفاء على نظرية وعملية وزادها تفصيلا في المنطق من الشفاء (هو من كتب الشيخ العملية وهو أربعة أقسام : المنطق ، والرياضي ، والطبيعي ، والإلهيات) والإنسان الكامل هو الجامع للحكمتين[٤٠] . فالعقلان العملي والنظري ليسا واضحين في كلامهم . ولا يعنينا كونهما قوتين أو قوة واحدة ، ولا كون أحدهما قوة عالمة والآخر قوة عاملة ، حتى إذا أطلق العقل في الصورة الاخيرة على العقل العملي كان من باب الاشتراك اللفظي ، يعني أن العقل العملي ليس في الواقع من سنخ العقل العالم . ويذكر هنا أن ما بحثه السيد الطباطبائي في المقالة السادسة من أصول الفلسفة .ومن كل هذا أستنتج الشهيد مطهري بأن الانسان الكامل في منظور الفلسفة إنسان ناقص ، إنه ليس سوى تمثال من المعرفة ، إنه يعلم كل شيء ولكنه خالٍ من الايمان ومن التسليم والمحبة [٤١].يرى مطهري بان الاسلام ينظر الى العقل كحجة يمكن الاعتماد عليها ، وهو يتفق مع المدرسة العقلية ، إلا إنه يختلف معها في جعلها إياه الأساس وجوهر الإنسانية ، وفي جعلها ما سواه أداة بيده ، وفي تفسيرها للإيمان بأنه معرفة بالله ورسله وملائكته واليوم الاخر فحسب .فعندما يطرح الاسلام مسألة الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر ، يطرحها على أساس أنها أصيلة وهي شرط أساس في قبول الاعمال ، ولو جردنا العمل عن الايمان لم يصل الى أي نتيجة لأنه فاقد لشرطه الاساس وهو الايمان ، كما لو جردنا الايمان عن العمل لم يبق أثر للايمان يقول تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ....)[٤٢] ويقول أمير المؤمنين عليه السلام : (إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب ، تسمع به بعد الوقرة ، وتبصر بهبعد العشوة ، وتنقاد به بعد المعاندة ، وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة ، وفي الزمان الفترات ، عباد ناجاهم في فكرهم ، وكلمهم في ذات عقولهم ....) [٤٣] ونستنتج من هذا إن العقل جزء مهم من وجود الإنسانية ، كما أن الايمان أعمق بكثير من المعرفة ، أنه ميل وتسليم وخضوع ومحبة وأعتقاد ، ولا يكفي مجرد العلم والمعرفة ، وأن كانت المعرفة أحد أركان الايمان إلا أنها ليست كل الايمان ، فقد يعلم المرء بشيء ولا يحبه ولا يميل إليه فهل يقال إنه مؤمن به[٤٤] . فلذلك يرى مطهري أن الانسان الكامل وفقاً لمنظور الفلاسفة إنسان ناقص . إنه ليس سوى تمثال من المعرفة ، إنه يعلم كل شيء ولكنه خالٍ من الايمان ومن ى التسليم والمحبة [٤٥].

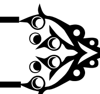
٢- المدرسة الصوفية :إن المدرسة الصوفية هي التي تنظر الى الإنسان من زاوية العشق ، ومتعلق العشق فيها هو الله تعالى ،وهي ترى أن الإنسان ففي حركة معنوية دائمة نحو الله ، وتبدأ هذه الحركة صعودية بأتجاه الله لتنتهي أفقية ، والقول الفصل في هذه المدرسة هو للروح لا للعقل والبرهان ، بل أن العقل بيد الروح التي هي جوهر الإنسانية ، وبما أن الروح من عالم العشق فيقدَّم على العقل ، والغاية القصوى هي فناء في الله[٤٦]. وهنا يعترض مطهري على هذه المدرسة من عدة أتجاهات[٤٧]:

أ- أن الاسلام يقبل القلب ولا يحتقر العقل ولا يحتقر العقل ، إنه يلتفت الى الظاهر والباطن على حد سواء ، وهذا يصطدم مع المدرسة الصوفية التي تعطي جُل أهتمامها للباطن دون الظاهر وللفرد دون المجتمع .

ب- الصوفية لا تعتمد على العقل فتحصر سيل الوصول بالأعتماد على القلب فقط أو تعد مركز العشق والمعشوق الحقيقي هو الله تعالى ، وإذا أراد الإنسان أن يصل الى معشوقه فعليه أن يضع الاستدلال والبرهان جانباً ويركز فقط على تهذيب نفسه والسيطرة على خواطره[٤٨].

ت- علاقة الإنسان بالدنا : يرى المتصوفة أن العلاقة بينهما هي كعلاقة الطير بالقفص ، إلا أن الاسلام يرى أن العلاقة بينهما هي علاقة الفلاح بأرضه والعابد بمسجده . يقول الإمام عاي (عليه السلام) وقد سمع رجلاً يذم الدنيا:

(أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى ؟ كَمْ عَلَّلْتَ المريض: خدمه في علته .كمرّضهُ . خدمه في مرضه." بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ! تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاءَ، غَدَاةَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلاَ يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ . لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ خوفك وَلَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطِلْبَتِكَ وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! قَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ



صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا. مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ)[٤٩].

ث- قتل النفس : يرى الصوفية عند الحديث عن قتل النفس الاشارة الى ضرورة تحطيمها وإذلالها ، حتى لا تصاب بالأنانية والعجب ، وأن النفس عدوٍ إذا أحسنت إليها وأكرمتها ازدادت لك عداءً .

المبحث الثاني : الأسس والقيم الاخلاقية للإنسان الكامل عند الشهيد المطهري

المطلب الاول - الاسس الاخلاقية للإنسان الكامل

يشير المطهري في حديثه عن الاخلاق إلى فضيلة حسن الخلق ، وما يترتب عليها من نتائج وعواقب ترتبط بالإنسان في ذاته ، لجهة تعاليه وارتفاع درجته وسمو مرتبته الروحية وتكامله ، فقد اجتمعت فيهم الحكمة الالهية والعلم الرباني ، والقيم الرفيعة ، والفضائل السامية التي لا حدود لها ، والتي أشار إليها الشهيد المطهري من خلال استعراض أراء المدارس الفكرية والمدارس القرآنية الاسلامية التي تعرضت لفكرة (الإنسان الكامل) ومن أهم هذه الاسس :

الفرع الاول - الكمال :

أن أهم سمات أو الخصائص العامة التي أتفق عليها أغلب العرفاء ، والتي يجب أن تتوفر في العارف، كي يستحق معها درجة الكمال، أو تسمية ((الإنسان الكامل))علماً أن كل ما يتصف به الإنسان الكامل من صفات الكمال هو هبة من الله تعالى ونور يقذفه في قلب العبد، أي أنه لا يُستحصل بالإعمال والمجاهدات .ويتصف الإنسان الكامل، بأن له التصرف على نفسه وعلى غيره، وأنه أحيل أليه خلق كثير وجمّ غفير، وإنه لقربه من ربّه صار أنساناً مطلقاً وصار تصرفه مطلقاً، وإن كل من وصل أليه وعرفه أو إتصل به، فأنه ستظهر بركة تصرفه عليه، فهو غياث الخلق بقوله وفعله وحاله ودعائه وسكوته ونظره وهمته ونومه ويقظته . وهذا الإنسان لكماله فأنه قد وصل إلى مرحلة من التجرد والعزوف والتخلص من جميع العلائق سواء بنفسه أم بالعالم حوله، بحيث أنه لم يبق له تصرف طبع ولا إرادة نفس ولا إختيار شهوة، بل جميع تصرفاته بالله تعالى، لأنه يشاهده في جميع الأفعال والتصرفات والحركات والسكنات، وإن الله تعالى هو المتصرف في جميع أفعاله بواسطته، وإنه هو المتصرف في الأشياء بواسطة الله تعالى[٥٠]. والإنسان الكامل في قومه، كالنبي في أمته، لأن الله تعالى قد جعل في باطنه وقلبه تبصرةً ونوراً، وبالنور جعل له الهّمة جاسوساً يتجسس في القلوب، فهي للقلوب بمثابة المساعي للملوك عن خطرات قلوب المريدين ولها مقام الحراسة والحفظ، فألى من وجهها وبمن وكلها وعلى أي أمر سلطها، أظهرت قوتها وأتمت فعلها وأتقنت حفظها وحراستها، لأنها الهمة الفعالة، خصّها الله تعالى لقلوب الأنباء والأولياء لأجل الأمتثال والخدمة والسمع والطاعة، فهي في تصرف القلب كالملوك في تصرف المالك [٥١] ويتصف الإنسان الكامل، بانه محفوظ من الله تعالى، وأن يده كيد الله تعالى وأنه مؤيد بالله وبنصره ومكرم بالكرامات التي تتايد بها ولايته وتعرف بها منزلته بين الناس، وأنه يمتاز بالشفاعة عند الله تعالى في الخلق يوم القيامة .وفوق ذلك، فأنه يأخذ الدرجة النهائية من كل مراتب الكمال، وهي التكوين والتوحيد وعين اليقين والحرية والغيب والتولي[٥٢] إن الإنسان في عين ذاته هو موجود واحد ، إلا أن له مئات بل آلاف الأبعاد الوجودية فإن إنيّة الإنسان عبارة عن مجموعة كبيرة من الأفكار والأماني والخوف والآمال والعشق[٥٣] . فالقرآن الكريم عندما يتكلم عن الوحي لا يتطرق إلى العقل ، بل يتناول الموضوع من باب القلب ، (قلب الرسول) وهذا يعني أن القرآن لم يحصل للرسول الأكرم بالقوى العقلية والاستدلال العقلي ، بل إن قلب الرسول قد أنتهى إلى حالة لا يمكننا تصورها ، في هذه الحالة حصل الاستعداد شهود الحقائق الربانية المتعالية ، وهذا المعنى جاء في سورتي النجم والتكوير فالقرآن عندما يتكلم هنا عن الوحي ، ويتحدث عن القلب ، فإن بيانه يذهب أكثر من العقل والفكر ، ويسمو فوقهما ، لكنه ليس ضد العقل والفكر ، ولا بخلافهما ، إن رؤية القرآن في هذا المضمار أبعد من الفكر والعقل والإحساس ؛ لأن العقل يبقى عاجزا عن إدراك ذلك[٥٤] .فعندما يقال: إن طبيعة الإنسان تسرع إلى الكمال، فالمقصود هو طبيعته الحيوانية وواقعه الإنساني.وهو يحس بالأنا العليا في نفسه، بل يحس بما هو أعمق منها أيضا. فحين تتنازعه المقتضيات الحيوانية والإنسانية يميّز هذه من تلك بعقله، ويسعى بإرادته إلى تغليب المقتضيات التي ينتصر لها العقل.وقد يوفق في هذا الكفاح، وقد لا يوفق فيه، ففي الغذاء مثلاً يقتضي العقل نوعاً ومقداراً غير ما تقتضيه الشهوة، فإذا غلبته الشهوة انهزم فيه الإنسان، وإذا غلبها أحس بالظفر في نفسه في حين أنه لم ينتصر عليه أحد ولا انتصر على أحد.وإنما انتصر جانب من وجوده على جانب آخر منه، وفي الحالين يجب أن يحس بالظفر والهزيمة على حسب الظاهر فكلاهما حدثا في عرصة وجوده، ولكننا لا نراهما كذلك.فعند غلبة العقل يحس بالنصر، وعند غلبة الشهوة يحس بالهزيمة، وهذا لأن الأنا عنده عقلانية وإرادية، والجنبة الحيوانية عنده هي السفلى، وهو بمنزلة مقدمة لواقعه الذي هو الجنبة السفلى التي هي نفسه

وغيره في آن واحد.وإذا نظرنا إلى مثل هذه الأثنينيّة في وجود الإنسان، يكون توجيه الأصول الأخلاقية على هذا النحو. للإنسان كمالات بحسب الأنا الملكوتية، وهي كمالات واقعية، إلا إنشائية، لأن الإنسان ليس بدنا فقط، وإنما هو جسم وروح أيضا.والعمل المتناسب وكمال الإنسان المعنوي الروحي عمل علوي قيم، والعمل الذي لا يتلاءم وعلو الروح عمل اعتيادي ويعد تافها [٥٥].وعلى هذا النحو نقبل الحسن والقبح اللذين قال بهما السيد الطباطبائي ورسل وسواهما.الإنسان يتمتع بالوجدان الاخلاقي ، وهو يدرك الحسن والقبح بحكم الإلهام الفطري (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)[٥٦]والبحث هنا أيُّ أنا نحبها التّحتى أم العليا؟فإذا كان المحبوب هو الأنا الفوقي، كان الحب أخلاقيا وذا قيمة، وإحساس الإنسان بالأخلاق ناشئ من هنا.وإذا يرى الإنسان جنبة من وجودة سامية والأعمال المرتبطة بها رفيعة ليس إعتباراً، بل لأنه يرى تلك الجنبة في وجوده أكمل وأقوى من غيرها. وكل الكمالات ترجع إلى هذا الوجود، وكل المناقص ترجع إلى عدمه.ولذا رد الصدق والصواب والإحسان والرحمة والخير وأمثالها إلى الأنا الأعلى في الإنسان. وقد قال الحكماء: إن الحكمة العملية مربوطة بالفعل الاختياري من ناحية الفضل والكمال، ويعيدون الأمر في النهاية إلى النفس، ويصرحون بأن لنفس الإنسان كمالين:نظري وعملي.واكتساب حقائق العالم كمال نظري، ومكارم الأخلاق كمال عملي للنفس ينميها ويوازن بينها بين الجسم، ويدعم ما لديها من كمال واقعي. وإذا أخذنا بهذا الرأي، وصلنا إلى أصل إسلامي كبير لم يقله الحكماء، وهو أن الإنسان يحس بالسمو بحكم ما لديه من شرف وكرامة ذاتيين وهما جنبة ملكوتيه ونفحة إلهية فيه من دون إنتباه.ويحسن بان هذا العمل أو الملكة مناسبة للشرف أو غير مناسبة، فإذا ناسبته وانسجمت معه، عدت خيرا وفضيله وإلا كانت رذيلة. وعلى نحو ما تدل الغريزة الحيوان إلى ما ينفعه وما يضره، فإن لنفس الإنسان فيما وراء الطبيعة كمالات تناسبها طائفة من الأعمال والرغبات. وتوجه ما يجب وما لا يجب والحسن والقبيح هو أن الناس خلقوا متشابهين في الكمال، ولخلقهم متشابهين كان ما يحبون لوناً واحداً، وهكذا نظراتهم، يعني أنهم متشابهون في الكمال الصعودي والمعنوي على الرغم من اختلافهم في الأجسام والأماكن وتغيرهم في الحاجات البدنية، ولا بد أن تكون المحبوبات والطيبات والمساوي والمنكرات واحدة دائمة كلية. وبهذا تُعلّل الفضائل الاجتماعية وغيرها كالصبر والاستقامة.والنظريتان السابقتان تعلّل الأخلاق الاجتماعية فقط كالإيثار وإعانة الغير، ولكنهما لا تعللان الصبر والاستقامة خلافاً للنظرية الأخيرة التي تعلل الأصول الأخلاقية كافة. وبقبولنا هذا الأصل المبين لجميع المحاسن والمساوي وأنها ناشئة من ارتباط الشيء بكماله، فإننا نستكشف به إن هذه المحاسن والمساوي مشتركة كلية ودائمة[٥٧].

للإنسان أنشطة وفعاليات منه :

أولا – أنشطة وفعاليات تلذذية : حيث يخضع الإنسان فيها لتأثير غريزة الطبيعة المباشرة ، ويقوم بنشاط ما ، وبتأثير العادة (الطبيعة الثانوية) من أجل الوصول الى لذة أو الهروب من مضرة .

ثانيا – أنشطة وفعالية تدبيرية : وهي الأعمال التي لا تحمل في طياتها أمورا جاذبة ، ولا دافعة ، ولا تحرك غريزة الإنسان وطبيعته ، بل ما يحرك الإنسان هنا حكم العقل والإرادة . ص٣٩

إن ما يحدد اللذة هي الطبيعة ، وما يحدد المصلحة هو العقل ، فاللذة تحرك الرغبة ، والمصلحة تحرك الإرادة ، لذلك فإن الإنسان يملك قوة مرتبطة بالعقل لها دور في أجراء أحكام العقل ومقرراته[٥٨] . ونستنتج من هذا أن الشهيد طهري بعد أن يستعرض المدارس المختلفة حول الإنسان الكامل ، إن الإنسان الكامل إلى جانب العقلانية والقلبية – أي القول بالعقل والقلب – يقول بالطبيعة ؛ بمعنى آخر الإنسان الكامل في القرآن والإسلام عقلاني قلبي طبيعي ، مسألة أخرى هي ترك الذات ، فالعرفان يعد القلب محترماً ، ولكنه يعتبر النفس حقيرة ، وهذا المطلب بحد ذاته صحيح ومنطق الإسلام يؤكد ذلك ، لكن في النفس الوقت لدينا في الإسلام ذاتان ونفسان ، والإسلام قد شخص هاتين النفسين بشكل دقيق ، بحيث لا يمكن الوقوع بينهما في الخطأ ، وذلك يعني ، أن النفس يمكن أن تكون في درجة عالية ، ويمكن أن تكون في درجة دنيا وحقيرة ، فالنفس التي تكون في الدرجة العليا هي نفس شريفة ، والتي في الدرجة الدنيا هر نفس دنيئة ، وهذا الأمر في لغة العرفان لم يتنبه إليه كما يجب أن يكون [٥٩]. إن الخليفة الإنسانية مركبة من الطبيعة وما وراء الطبيعة ، ومن المادة ولمعنى ، ومن الجسم والروح ، (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعله نسلهُ من سلالة من ماءً مهين .....)[٦٠] .

الفرع الثاني – الجمال :

يتصف الإنسان الكامل بأنه: مرأة الحق، وهو خليفة الله تعالى ونائبه الذي ينوب عنه في التصرف والولاية والحفظ والرعاية وهو يتصرف في الخلق، كي يظهر في نفسه جلال من أوجده. وقد اقتضت إرادة الله تعالى أن يجعل لهذا الأنسان وجهاً في القدم يستمد به من الحق تعالى ووجهاً في الحدث يمد به الخلق، فجعله على صورته خليفةً يخلف عنه في التصرف، وخلع عليه جميع اسمائه وصفاته، ومكنه في مسند

الخلافة [القاء مقاليد الأمور اليه وإحالة حكم الجمهور عليه وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته وتسخير الخلائق لحكمه وجبروته وسماه أنساناً لأمكان ومقوع الأنس بينه وبين الخلق، وجعل له بحكم أسمية الظاهر والباطن، حقيقة باطنه وصورة ظاهره ليتمكن بهما من التصرف في الملك والملكوت (٦١)

المطلب الثاني : القيم الاخلاقية للانسان الكامل عند الشهيد المطهري

تدل كلمة القيمة من الناحية اللغوية على الاعتدال والاستواء وبلوغ الغاية فهي مشتقة أصلاً من الفعل (قام) بمعنى وقف ، وأعتدل ، وأنتصب ، وبلغ، وأستوى(٦٢) .

ومن معاني القيمة الدوام والثبات والاستقامة والكمال

١- – القدرة :

يرى الشيخ مطهري بأن الحق يؤخذ ويعطى ، وهذا يعني أنه يستوجب العمل على جبهتين ، أو وجهين لاستيفاء الحق ، يعني أن الاسلام في نفس الوقت الذي يربي الفرد الواحد بالتعليم وتربية ، ويحثه على إعادة الحق لصاحب الحق يقول الامام علي عليه السلام : (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع)(٦٣)

وترى المدرسة الاسلامية أن القدرة في الاسلام واحدة من مجموعة قيم سامية كثيرة في الانسان ، لذلك عندما تتشكل هذه القيمة مع القيم الاخرى في شخصية الانسان يصبح للإنسان معنى أخر ، ويتخذ شكلا آخراً ، إذن فالحق والباطل والعدل والظلم يوزن ويقيم بمقاس القدرة وعدم القدرة ، وهذا يعني أن الحق ليس شيئاً منفصلاً عن القدرة ، والباطل لا ينفصل عن عدم القدرة .وهذا يعني أن الحق ليس شيئاً منفصلا عن القدرة ، والباطل لا ينفصل عن عدم القدرة ، لأن الصراع والجهاد مع النفس الأمارة يتطلب نفحة قوية من القدرة ، بل يتطلب القدرة الأسمى ، وهي نوع من الحروب الداخلية التي هي أشد من الحروب العادية المتعارفة ، فإن الرسول (ﷺ) وبعد أن رجع مع أصحابه من الجهاد ، ألتفت إليهم وقال : (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقى عليهم الجهاد الأكبر

فقالوا وما الجهاد الاكبر يارسول الله

فقال (ﷺ) هو مجاهدة النفس ومجاهدة هواها)(٦٤).

إذن فالقدرة في الاسلام قيمة إنسانية وكمال إنساني

٢- الفضيلة :أن حرية الإنسان هي تلك التي أوجدت آلاف القوانين والانظمة والتعليمات والفلسفات والاخلاق ؛ فإذا كان الانسان ذلك الوجود الذي عاش جماعات جماعات بحكم الطبيعة ، وإذا كانت كل جماعة تقوم بوظائفها تعمل على هواها بحكم الغريزة ، ومن غير كيف ولماذا فإن ذلك يعني أن الانسان لا يحتاج الى القوانين والانظمة ، وليس للجزاء والعقاب بعد ذلك معنى ، بالاضافة الى ذلك أن الحرية هي مبنى الفضيلة ،وأساس تقدم الإنسان على الملائكة ،لأن الملائكة إنما وجدت لا تعرف سوى سبيل واحد ، ذلك طريق التقديس والعبادة والطهارة غير أن الإنسان يملك أستعداد الترقي والالتحاق بالملأ الأعلى ، كما يملك أستعداد الانحدار نحو الوضاعة والدناءة ، فإذا تم أنتخاب طريق الكمال والترقي بقوة التصميم والأرادة من جهة ، ومواجهة عبادة الهوى بالمجاهدة والصبر من جهة أخرى ،فإن لذلك قيمة أكبر(٦٥) .

٣ – الألم : يُعتبر الاحساس بالألم معياراً للقيم الإنسانية فهو ألم البحث عن الله ، ومنشأ هذا الألم إن الإنسان وكما تعبر النصوص الاسلامية نفخة من روح الله نزلت الى الدنيا . لذلك فأنه لا ينسجم تماماً معها بل يحس بالغربة ، وأن الانسان يتألم من فراق الله ولذلك فأنه يناجيه طالباً وصاله أن النظرة للألم عند العرفاء المسلمين تتجه الى الكلام عن الألم لا كمقصد ، بل كواقعة نفسانية إذا حصلت كان التعامل معها هو تعبير القداسة ،أو التداني والحسران ومن هنا يعتبر العارف السبزواري ((أن شرّية الأوجاع في عالمنا ليست بأعتبار كونها إدراكات ووجودات بل باعتبارات الانفعالات والتأثيرات ، وهي عدميات أو مستلزمات لها حتى تكون شريتها بالعرض بواسطتين :

إحداهما تفرُق الاتصال ، وثانيها عدم الطاقة – فلو فرض أن يحصل فنون الأوجاع لأحد ، ولاسيما لو كان طالباً لمعرفتها من حيث أن العلم بكل شيء أولى من الجهل بها ، وفرض أن لا يكون له تأثير وانقهار، لكانت كلها بهاءً وكمالاً له ؛ لأنها وجودات ...... فثبت أن الشرور بالذات أعدام ، والآلام وإن كانت مؤذية فليست بشرور ، بل خيرات وجودية))(٦٦) .إن للألم عند الشهيد مطهري بُعد معرفي يحلنا الى معرفة الذات إذ الأشياء تعرف باضدادها وكما أن اللألم يمثل بداية يقظة وأستنارة اولى ، كما أنه قد يمثل مورداً للعلم بما فوته المذنبمن خير رحماني فيندم بعد أن يتألم على ما فوّت وفرط في جنب الله سبحانه .وللألم آخر بمعنى التوبة وهذا ما أشار إليه الغزالي ، إذ أعتبر أن القلب إذا أيقن أن الذنوب كالسموم المهلكة ، والحجب الحائلة بينه وبين محبوبه ، فلابد أن يتم نور ذلك اليقين فتشتعل فيه نيران الندم فيتألم به القلب



، وحينئذٍ ينبعث من تلك النار طلب الأنتهاض للتدارك . فالعلم والندم والقصد المتعلق بالحال ، والاستقبال ، والتلافي للماضي ، ثلاث معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها[٦٧] .

ومن القيم التي تميز الإنسان شعوره بالألم المعنوي، وهذا الشعور أنواع[٦٨] :

أ–ألم الشوق إلى الله، إذ أن الإنسان جبل على حب الكمال، ولكن هذا الحب إذا تعلق بكمال محدود فإنه سرعان ما يفتر، أما إذا تعلق بكمال غير محدود فإن هذا الشوق يظل مشتعلاً، والكمال غير المحدود هو الله سبحانه وتعالى. وفي بعض الأحيان، قد يخطئ الإنسان في توجيه حبه للكمال فيتعلق بالثروة أو بامرأة أو غيرها من أمور محدودة

ب–الألم لأجل خلق الله (الحس الإنساني) وهو شعور تجاه تعاسة الآخرين وتحمل مسؤولية رفع معاناتهم .وهكذا كان رسول الله (ص) يتألم لخلق الله إذا رآهم مأسورين لدى شهواتهم، فيسعى لرفع معاناتهم ليوصلهم نحو السعادة الحقيقية. والمسلم الحقيقي هو الذي يحمل ألم الله وألم خلق الله، فهذه أم القيم.

٣– الاحسان : الاحسان على مراتب والإنسان الكامل حائز لهذه المراتب كلها ، وقد تحدث الشيخ ابن عربي بقوله : ((ورد في الخبر الصحيح الفرق بين الايمان والإسلام والإحسان فالاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية و كالرؤية ، فالإسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان أشهاد فمن جمع هذه النعوت وظهرت عليه أحكامها عمّ تجلي الحق له في كل صوره))[٦٩] أن الاحسان قد يطلق بالمعنى العام على ما يستفاد من قوله تعالى : (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان)[٧٠] وله ثلاث مراتب[٧١] :

المرتبة الاولى – فعل ما ينبغي لما ينبغي ، أي متابعة الاوامر والنواهي قولاً وفعلاً ، هذا هو المعاملة مع الحق في مقام النفس والحس الظاهر وفي مرتبة الاسلام .

المرتبة الثانية – وهي التي أجاب عنها النبي عند سؤاله عن الاحسان فقال (الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه ، وهي عبارة عن أستحضار الحق على ما وصف به نفسه في كتبه وعلى إلسنة رسله وأوليائه المعصومين .

المرتبة الثالثة– هي مقام المشاهدة دون ((كأن))كما هو المروي عن أمير المؤمين علي (عليه السلام) : كيف أعبد ربا لم أره ؟ هذا هو المعاملة مع الحق في مقام السّير الغيبي الحقيقي .وقد يطلق الاحسان على معنى خاص على حسب طبق الحديث النبوي ؟(أن الاحسان أن تعبد الله كما تراه) بحيث تكون المرتبة الاولى خارجة عن درجات الاحسان ، وعلى هذا الاطلاق الثاني فالاستحضار التفصيلي القطعي العلمي وحقيقة الايمان وباطنه أول درجات الاحسان ومقام قرب النوافل ، وكنت سمعه وبصره ثاني درجاته ، ومقام قرب الفرائض أخر درجاته واوسط مراتب الولاية والمشاهدة .وقد يطلق الاحسان على معنى أخص على ما يستفاد من قوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما أتقوا وعملوا الصالحات ثم أتقوا وآمنو ثم أتقو واحسنوا والله يحب المحسنين)[٧٢] حيث ختم الله تعالى الآية بذكر الاحسان وأقرن محبة الله بالمحسنين . ومن قوله تعالى : ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن ، أي ومن ينقاد برمة ذاته الى الله وهو مشاهد ، فقد أستمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ونظائرهما ، وعلى هذا المعنى فالمرتبة الثانية ايضا خارجة عن درجات الاحسان ، فأول ظهور الولاية ومرتبة الكمال والمشاهدة أول درجات الاحسان ، فمقام قرب النوافل أول درجاته ومقام قرب الفرائض اوسط درجاته ومقام أحدية الجمع آخرها[٧٣]. فللإحسان ثلاث مراتب :

أولها – اللغوي وهو أن تحسن على كل شئ على من أساء إليك وتعذره وتنظر على الموجودات بنظر الرحمة والشفقة

وثانيها – العبادة بحضور تام كأن العابد يشاهد ربه

وثالثها – شهود الرب مع كل شيء وفي كل شيء كما قال تعالى : (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد أستمسك بالعروة الوثقى)[٧٤] أي مشاهدة الله عند تسليم ذاته وقبه إليه

الخاتمة :

من خلال بحثنا هذا توصلنا الى عدة نتائج :

اولا – أستند الشهيد مرتضى المطهري في فكرته جول الإنسان الكامل إلى مصدر وأساس إسلامي ، حين يتحدث عن كون الإنسان الكامل خليفة الله في الارض ،فكان الإنسان الكامل عنده خليفة ونائب الله في أرضه ، وهو مقدم ذاتاً ورتبة على كل العالم ، فأمكن له أن يكون خليفة الله تعالى ، فإن الله مقدم على كل العالم فكذلك خليفته مقدم على كل العالم لا على الموجود الارضي . ولا يتم ذلك إلا باطلاعه على جميع أسرار الأشياء وظواهرها على ما تقدم منه وتأخر . وهذا ما أشار إليه ابن عربي وعبد الكريم الجيلي من قبل .

ثانيا– يتفق الشهيد المطهري مع ابن عربي و الجيلي على أن محمد(ﷺ) هو الانسان الكامل ، وهو واحد من كان الوجود الى أبد الآبدين لكه تنوع في الصورة ويظهر في كل زمان ، في صورة صاحب ذلك الزمان وإنه في عصره إنسان كامل .

ثالثا – إن الإنسان الكامل عند المطهري هو صاحب مرئية الولاية (ولي الله) ، وقلبه أوعى القلوب وأوسعها ، وهو قطب عالم الإمكان ، وحجة الله وخليفته ، والراسخ في العلم ، وخازن ومنبع العلم اللدني ، ومثير حقائق العقول ، والمأمون و أمين الله ، وفي الوقت ذاته الزاهد في الدنيا ، والشجاع وفي مرتبة اليقين ، وعلى الطريق الواضح والصراط المستقيم ، ومصير العدل في الأفق الإنساني الأعلى ، وهو العالم الرباني ومن لا تخلو الأرض من مثله .

رابعا– يرى مطهري أن فطرة الإنسان على معرفة الله فالإنسان يدرك في أعماق وجدانه الذات الإلهية وأن وجدان الإنسان الكامل لخلقه و موجده و علته الواقعية ، إذ يستحيل على الإنسان أن يدرك ويعرف شخصيته الواقية منفصلة عن حالتها وخالقها ، فإن علة على وجود مقنعة على وجود ذلك الشيء ، فهي أقرب إليه من نفسه وأن الإنسان الكامل هو مثل الله الأعلى و آيته الكبرى و كتابه المستبين والنبأ العظيم، وهو مخلوق على صورته و منشأة بيدي قدرته و خليفة الله على خليقته ومفتاح باب معرفته من عرفه فقد عرف الله وهو بكل صفة من صفاته وتجل من تجلياته آية من آيات الله ويتمتع بالكرامة والشرف ، فهو مخلوق مكرم .

خامسا – إن الشهيد المطهري في الواقع لا يخرج في أسلوبه ومنهجه عن منهج العرفاء في النظر الى القرآن حيث يؤكد على ضرورة أستكناه النص القرآني بالنفاذ الى باطنه ، والاستغراق على مضامينه التي تبدي للعارف خلف ستار الألفاظ والكلمات ، والذي يؤكد على أن الهدف من وراء أنتهاج هذا الطريق هر رؤية الحقيقة الكلية للوجود .

الهوامش :

(١)– الإنسان الكامل: هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية و الجزئية، وهو كتاب جامع الكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله فهو كتاب عقلي يسمى بأم الكتاب ومن حيث قلبه فهو اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه فهو كتاب المحو والإثبات وهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية. ينظر: الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات دار إحياء التاريخ العربي ، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٣٠

(٢) – ابن عربي – الفتوحات المكية ، ج ١، مصر، ط١، ١٣٢٩هـ، ص٢٦٣.

(٣) – ينظر : بدوي ، عبد الرحمن ، الإنسان الكامل في الاسلام ، وكالة المطبوعات ، ط ٢، الكويت ، ص٣١.

(٤) – سورة القلم ، الآية ٤ .

(٥) – المطهري ، الشهيد مرتضي ، الإنسان الكامل ، أعداد مركز نون للتأليف والنشر ، نشر جمعية المعارف الاسلامية الثقافية ، ٢٠١٢ م ، ص ٥١

(*) – أبي يزيد البسطامي هو أبو يزيد بن آدم بن شر وسان ، من أهل بسطام ، صوفي فارسي الأصل . للمزيد ينظر : باقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢، ص١٨٠ . وكذلك : المطهري ، الشهيد ، مرتضى ، الكلام والعرقان ، تعريب علي خازم ، الدار الاسلامية ، ط١، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٩٠

(٦) – ينظر : الطوسي ، ابو نصير ، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، تحقيق : كامل مصطفى الهنداوي ،، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، ص٣٢٦

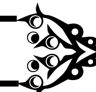
(**) – الحسين بن منصور الحلاج وكنيته أبو مغيث ، من أهل بيضاء فارس ، ونشأ بوسط العراق وقتل ببغداد سلة ٣٠٩ ينظر : الروسي ، صهيب ، التصوف الاسلامي ، بيسان للنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، ص ٩٩٩. كذلك المطهري ، الشهيد ، مرتضى ، الكلام والعرفان.

(٧) – العلاج الحسين بن منصور ،كتاب الطواسين – بغداد – ١٩٩١م، ص ٤٩

(***) – محمد بن علي الحسين الترمذي هو عبد الله بن محمد من ترمذ ومن أهم مؤلفاته ختم الأولياء ونوادر الأصول في أحاديث الرسول والرياضة و آداب النفس ، توفي سنة ٩٣٢م.

(٨) – الترمذي الشيخ عبد الله بن محمد بن علي الحسن الحكيم – ختم الأولياء – تحقيق :عشان إسماعيل يحيى – بيروت ، ١٩٦٥.

(****) – ولد أبن عربي في مرسية بالأندلس١٩٦٥ م وتوفي في دمشق عام ١٢٦٠ ومن أهم مؤلفاته الفتوحات المكية وفصوص الحكم .ينظر : المطهري ، الشهيد ، مرتضى ، الكلام والعرفان ، ص٩٧.

(٩) – إبن عربي – فصوص الحكم – تحقيق د. أبو العلا عفيفي – بيروت – ١٩٨٩ –ص٥٠.

(١٠) – اين عربي فصوص الحكم ، المصدر السابق ، ص ٢١٤.

(١١) – المصدر السابق ، ص٣١٩.

(١٢)– ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج٢ ، ص٣٠٠ .

(١٣) – ابن عربي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٦٣ . وللمزيد من التفاصيل حول نظرية الانسان الكامل عند ابن عربي يمكن مراجعة كتاب فلسفة التأويل لنصر حامد او زيد ، دراسو في تأويل القران عند ابن عربي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣ .

(١٤)– الجيلي ، عبد الكريم ، الإنسان الكامل في معرفة الاواخر والأوائل ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص٢١٠ .

(١٥)– المصدر السابق ، ص٢١٢ .

.(*** **) – ولد الشيخ مرتضى المطهري عام ١٩٢٠ م بمدينة فريمان في محافظة خراسان الإيرانية، وسط عائلة متدينة معروفة بالعلم. وأكمل الشيخ المطهري دراسته الابتدائية عند والده، و عندما بلغ عمره اثنتي عشرة سنة ذهب إلى مدينة مشهد لتحصيل العلوم الدينية، وبقي مشغولا بطلب العلوم الحوزوية إلى عام ١٩٣٦م، ثم ذهب إلى مدينة تم الغرض إكمال دراسته، لدرس الفلسفة والفقه والأصول عند الإمام الخميني، كما حضر دروس الفلسفة والحكمة الإلهية للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، والشيخ مهدي المازندراني، ودرس الأخلاق عند الشيخ علي الشيرازي الأصفهاني، وفي عام ١٩٤٤م ذهب إلى مدينة بروجرد لحضور دروس الأخلاق التي كان يلقيها آية الله العظمى السيد حسين البروجردي آنذاك، وفي عام ١٩٤٦م عاد إلى مدينة قم مع أستاذه السيد البروجردي بدعوة من أساتذها، وبسبب بعض المشكلات المعاشية التي واجهها الشيخ المطهري في مدينة قم اضطر إلى السفر إلى طهران، واتجه هناك نحو التأليف والتدريس في الجامعة ومن اراءه العلمية التي ذكرها في كتابه المهم ايران و الاسلام : أن الشيخ عبد القادر الكيلاني من سلالة الامام الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام .

(١٦ – المطهري ، الشهيد مرتضي ، الإنسان الكامل ،، ص ٢ ١٩

(١٧) – سورة المائدة ، الأبية ٣

(١٨). ينظر : حنفى ، حسن ، من الفناء الى البقاء ، ج ٢، دار المدار الإسلامية، ط١، ٢٠٠٩م، ص٥٦٧

(١٩). بنظر الكاشاني ، عبد الرزاق ، اصطلاحات الصوفية ، تحقيق: محمد كمال ، قم ، بيدار ، ص٣٣ .

(٢٠) – مرتضى مطهري، خدمات متقابل اسلام و ايران، دفتر انتشارات اسلامي، قم، ١٣٦٢ ه.ش.، ص٥٦٧.

(٢١)– ينظر : المطهري ، الشهيد مرتضى ، الأنسان الكامل ، ص٥

٢٢– ينظر : المطهري ، الشهيد مرتضى ، في رحاب نهج البلاغة ، الدار الاسلامية للطباعة والنشر ، ط١، ١٩٩٢ م، ص ٥٥. إن الولي هو الذي تولى الحق أمره ، وحفظه من العصيان ، ولم يخله ونشه بالخلان حتى يبلغ من الكمال مبلغ الرجال والى ذلك أشار القران الكريم بالقول : (وهو يتولى الصالحين) سورة الأعراف ، الأية ١٩٦ للمزيد ينظر : الحكيم ، سعاد ، المعجم الصوفي (مادة ولاية) ، لندرة للنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢٤١–١٢٣٢.

٢٣ – ينظر : المطهري ، الشهيد مرتضى : النبوة ، مؤسسة أم القرى ، دار الحوراء ، نقلة إلى العربية جواد الكسار ، ص٢ وللمزيد حول تعريف النبوة و علاقتها بالإنسان الكامل بنظر ، الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٢ ، ص١٣١.

٢٤– ينظر : المطهري ، المدارس الفكرية للكمال الإنساني ، مركز نون للنشر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٢٩ ، ص٤ ٢٥ –المصدر السابق ، ٢٦– ينظر : المصدر السابق ، ص٥ ، ومن أهم الأبيات القرآنية التي يوظفها الشهيد مطهري في فهم الإنسان الكامل هي : (إذ قال ربك للملائكة في أني جاعل الأرض خليفة) سورة البقرة – اية ٣٠ وقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها) سورة الروم – ٣٠. وقوله تعالى : (ثم اجتباه ربه فتاب عليه) سورة طه ، الأية ١٢٢ ، وقوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأسفقن منها وحملها الإنسان) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ ، وقوله تعالى : (ولقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر ....) سورة الإسراء – الآية ٧٠.

(٢٧) . ينظر : المطهري ، الشهيد ، مرتضى ، الكلام والعرفان و تعريب علي خازم ، الدار الاسلامية ، ط١ ، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٧٥ وللمقارنة ينظر : الآملي ، حيدر، أسرار الشريعة و أطوار الطريقة و أنوار الحقيقة ، تقديم وتنقيح رضا محمد حدرج ، دار الهادي ، بيروت، ٢٠٠٣م ، ص ٤٦-٤٧.

(٢٨) . ينظر : المصدر السابق ، نفس الصفحة

٢٩ – سورة الحشر، الأية ١٩

(٣٠). ينظر : المطهري ، المدارس الفكرية للكمال الإنساني ، ص٦هذا ويشير الشهيد مطهري الى أربعة أسفار معنوية يسلكها العارف لغرض بلوغ الكمال وهي المسماة في إصلاح العرفاء والمعراج المعنوي وهي : الأول– السير عن الخلق إلى الحق وهو السير من المخلوق الى الخالق الثاني ، السير بالحق في الحق وهو المسير في الخالق نفسه بمعنى أنه في هذه المرحلة يتعرف على الأسماء والصفات الإلهية ، وبها يتعرف على المتصف بها, الثالث. السير من الحق الى الخلق بالحق ففي هذا السفر يرجع ثانية الى الخلق بدون أن يفترق عن الحق ، بمعنى أنه في حال كونه مع الله يرجع الى الخلق للإرشاد والعناية والهداية الرابع – السير في الخلق بالحق وفي هذا السير بعمل العارف بين الناس ومعهم ، وينصرف الى تركيب أمورهم ليسوقهم إلى الحق . للمزيد : المطهري ، الشهيد مرتضى ، العرفان والدين و الفلسفة ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ لبنان ، ٢٠٠٩م، ص٣٨٧-٣٨٨ .

٣١– أصول الكافي ، ج ١ ، باب العقل والجهل ، ج ١٢

٣٢ – المطهري ، الشهيد مرتضي ، الإنسان الكامل ، ص٨٨

٣٣ – أبن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢٠، ص٢٩٢. وللمزيد ينظر : حمية ، خنجر علي ، العرفان الشيعي ، دار الهادي ، ط ، بغداد ، ٢٠٠٨ هم ، ص٧٠٧,

٣٤ – ينظر : الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٦، مؤسسة الأعلمي ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص١٦٩

٣٥ – ينظر : المطهري ، المدارس الفكرية للكمال الإنساني ، ص ٣٤ , كذلك : المطهري ، الشهيد مرتضي ،العرفان والدين والفلسفة ، ص١٣٨.

٣٧– المطهري ، الإنسان الكامل ،ص٥٦– ٥٧ .

٣٨– ينظر: ابن سين ، الاشارات والتنبيهات ، شرح نصير الدين الطوسي ، تحقيق سليمان دنيا ، القسم الرابع ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٢٢، وما بعدها .

٣٩– ينظر: المطهري ، النبوة ، ص١١.

٤٠ . ينظر ، مطهري ، المدارس الفكرية للكمال الإنساني ، ص ا وربما كان تفصيلها في المباحثات (كتاب له أيضا نشره الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه أرسطو عند العرب). سنة ١٩٤٧) أوسع منه في غيره. وهذه المباحث القيمة مجتمعية بسطته يد التحقيق في هذه المسألة، لكنها توفيها حقها منه حتى العتل العملي ما زال يشبه الإبهام ويه من كلام ليم أن العقل السلي هو قوة إدراك التنفس، يعنون أن لعنك إدراكين ها. إدراك العلوم النظر ، وإدراك العلوم العملية. ويستفاد من كلام أخر كلمة العقل مشتركة لفظا في العقلين العملية والنظرية الإدراك فهو قوة عاملة لا قوة عالمة. هكذا ورد في كلمات الحاج ملا هادي الميزواري .

٤١ – ينظر : المطهري ، المدارس الفكرية للكمال الإنساني ، ص٤

٤٢– سورة العصر ، الآية ٣

٤٣ – نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٢ .

٤٤. بنظر : مطهري ، المدارس الفكرية ، ص٣. وتعد العقلانية المؤيدة من أعلى الرتب العقلانية للإنسان ثم تليها العقلانية السدة ومن ثم الرتبة الدنيا وهي العقلانية المجردة ؛ لذلك نرى بأن العقلانية المجردة لا تليق بان تؤخذ في خط الإنسان و مخالفين في هذا ما سار عليه الفلاسفة جميعا من " ارسطو " من عادة تعريف الإنسان بكونه حيوان عاقلا مع حمل لفظ " العقل " على معنى " العقل المجرد " ؛ فالذي يفصل الإنسان عن الحيوان ليس هذا العقل ، لأن قدرا منه – قليلا أو كثيرا – موجود عند الحيوان في الأخر ، أنه امتداد للغريزية فية ولأنه مادي مثلها بما أنه لا يتعدى إدراك المحسوس وما أنتزع منه وإنما الذي يفصله عنه هو ((الأخلاقية)) فالحيوان لا يكون أبداً كائنا أخلاقيا ، فليس بمقدوره أن يدرك ما هو فوق عالم الواقع نحو عالم المثال ، و علم المثال هو بالذات محل القيم التي بواسطة طلبها وأتباعها يتوصل

الى الأخلاقية، وإن كان الأخر كلك ، وجب أن يميز الإنسان عن الحيوان علل تعلو رتبته على رتبة العقل المجرد ، بحيث ينبغي أن يكون إما عقلا مسدداً أو عقلا مؤيدا ، نظرا لأن الأخلاق لا توجد إلا حيث يوجد واحد من هذين العقلين الأخرين ؛ وعلى هذا الإنسان ، على وجه العموم ، هو الحي العاقل بعقل مسدد ، والإنسان الكامل ، على وجه الخصوص ، هو الحي العاقل بعقل للمزيد . ينظر : عبد الرحمن ، طه ، سؤال الأخلاق المساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية) ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب، ٢٠٠٠م ، ص٢٠١

٤٥ ينظر : مطهري ، المدارس الفكرية ، ص٤

٤٦ – المصدر السابق ، ص٤

٤٧. – المصدر السابق ، ص٥

٤٨) ينظر : المصدر السابق ، ص ٧

٤٩ – نهج البلاغة ، الخطبة ١٣١ .

٥٠– ينظر : المطهري ، الشهيد مرتضى ، الكلام والعرفان ، ص٨٠ .

٥١– ينظر : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٥٢– ينظر: المصدر السابق ، وكذلك : الترمذي ، ختم الأولياء ، ص٤٧٣ .

٥٣– ينظر : المطهري ، الإنسان الكامل ، ص٢٩ .

٥٤– المصدر السابق ، ص٣٠

٥٥– المصدر السابق ، ص٣١.

٥٦– سورة الشمس ، الآيات –٧ – ٨.

٥٧– ينظر : مطهري ، المدارس الفكرية ، ص ٣٥ .

٥٨– ينظر : المصدر السابق ، ص.٤٠ .

٥٩ – ينظر : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

٦٠– – سورة السجدة ، الآية ٧–١ .

٦١– ينظر : المطهري ، الشهيد ، مرتضي ، الكلام والعرفان ، ص ١١٩ . كنالك : المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ، ص ٥٤ .

٦٢ –ينظر : الزبيدي ، محمد علي ، تاج العروس و دار الصادر : مجلد ٩، بيروت، ص ٣٥.

٦٣– المجلسي، بحار الأنوار ، دار الوفاء ، ج ٣٣ ، الباب الثلاثين.

٦٤. ينظر : المطهري ، الشهيد مرتضى ، العقل والقلب (محاضرات في الين ولاجتماع) ، أعداد مركز نون التأليف والنشر ، نشر جمعية المعارف الاسلامية الثقافية ، ٢٠١٢م ، ص٥

٦٥– ينظر ، مطهري ، الإنسان الكامل ، للمقارنة : الغزالي ، ابو حامد ، أحياء علوم الدين ، ج ٣، القاهرة ، ١٩٣٩م ، ص ٤٨

٦٦– السبزواري ، هادي ، شرح الأسماء تحقيق تجفقلى، موسسه انتشارات وجاب دانشگاه تهران ، تهران ، ص ٦٨٩ .

٦٧ – الغزالى ، إحياء علوم الدين ، اعداد وتحقيق إصلاح عبد السلام الرفاعي ، ط١ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٨٨.

٦٨– المطهري ، الشهيد مرتضي ، الإنسان الكامل ، ص: ٥٦–٥٧

٦٩. – ابن عربي ، الفتوحات المكية – باب ٤٦٠.

٧٠– سورة الرحمن ، الآية ٦٠

٧١– المطهري ، الشهيد مرتضي ، الإنسان الكامل ، ص١١٧.

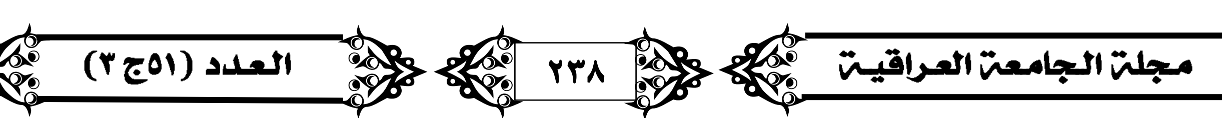
٧٢– سورة المائدة ، الأية ٩٣

٧٣، ينظر : الفناري ، محمد بن حمزة ، مصباح الانس ، تصحيح محمد خواجوي ، انتشارات مولى ، طهران ،ص٢٢

قائمة المصادر والمراجع :

- القرأن الكريم

١ – إبن عربي ، محي الدين : –



- الفتوحات المكية – ج ١، مصر ، ط١ ، ١٣٢٩ هـ .
- فصوص الحكم – تحقيق – د. أبو العلا عفيفي – بيروت – ط ٢ – ١٩٨٩ .
٢ – أبن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، بيروت ، دار المعرفة .
٣- ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، شرح نصير الدين الطوسي ، تحقيق سليمان دنيا ، القسم الرابع ، ط ٣، دار المعارف ، القاهرة.
٤ – ابو زيد ، نصر حامد ، دراسة في تأويل القران عند محي الدين بن عربي ، ط١- بيروت ،١٩٨٣ .
٥-الآملي ، حيدر ، أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة ، تقديم وتتقيح رضا محمد حرج ، دار الهادي ، بيروت، ٢٠٠٣ م .
٦-بدوي ، عبد الرحمن ، الإنسان الكامل في الإسلام ، وكلة المطبوعات ، ط ٢ ، الكويت.
٧- الترمذي، الشيخ عبد الله بن محمد بن على الحسن الحكيم – ختم الأولياء – تحقيق عثمان إسماعيل يحيى – بيروت ، ١٩٦٥
٨- الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات دار إحياء التاريخ العربي ، بيروت، ٢٠٠٣ م .
٩- الجيلي ، عبد الكريم ، الأنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل – ط١ – بيروت –١٩٩٧.
١٠ – العلاج الحسين بن منصور – كتاب الطواسين – بغداد – ١٩٩١م .
١١ – الحكيم ، سعاد ، المعجم الصوفي (مادة ولاية) ، دندة للنشر، بيروت ،١٩٨٦م.
١٢–حنفى ، حسن ، من الفناء الى البقاء ، ج ٢، دار المنار الإسلامية، ط١، ٢٠٠٩م. ١٣–حمية ، خنجر علي ، العرفان الشيعي ، دار الهدي ، ط ٢، بغداد ، ٢٠٠٠م.
١٤- الرومي ، صهيب ، التصوف الاسلامي ، بيسان للنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت .
١٥- الزبيدي ، محمد علي ، ناج العروس ، دار الصادر ، مجلد ٩ ، بيروت
١٦- السبزواري ، هادي ، شرح الاسماء ،تحقيق نجفقلي ، مؤسسة أنتشارات دانشكاه ، طهرن .
١٧- الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٦، مؤسسة الأعلمي ، ط٢، بيروت، ١٩٧٣م.
١٨- الطوسي ، ابو نصير ، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ، ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت.
١٩ – الغزالي ، ابو حامد ، إحياء علوم الدين ،اعداد وتحقيق إصلاح عبد السلام الرفاعي ، ط١ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة .
٢٠ – الغفاري ، محمد بن حمزة ، مصباح الاتم ، تصحيح محمد خواجوي ، انتشارات مولى ، طهران .
٢١- الكاشاني ، عبد الرزاق ، إصطلاحات الصوفية ، تحقيق محمد كمال ، قم ، بيدار.
٢٢ – المطهري ، الشهيد مرتضى :
- الإنسان الكامل خليفة الله ، تأليف مهدي حشمتي ، دار الصفوة ، ط١ ، بيروت، ٢٠٠٩م
- الكلام والعرفان ، تعريب علي خازم ، الدار الاسلامية ، ط١ ، بيروت، ١٩٩٢م
- العقل والقلب (محاضرات في الدين ولاجتماع) ، أعداد مركز نون التأليف والنشر ،نشر جمعية المعارف الاسلامية الثقافية ، ٢٠١٢م
- العرفان والدين والفلسفة دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، لبنان ، ٢٠٠٦م. –
- في رحاب نهج البلاغة ، الدار الاسلامية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٢م.
- النبوة ، مؤسسة أم القرى ، دار الحوراء ، نقله الى العربية جراد الكسار .
- المدارس الفكرية للكمال الألماني في محاضرات منتقاة من كتاب الإنسان الكامل ، مركز نون للتأليف والنشر ، ط٢ ، بيروت، ١٩٢٩م –
- خدمات متقابل إسلام وإيران، دفتر انتشارات إسلامي، قم، ١٣٦٢ هـ .ش